بمفازة من العذاب الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف وقد دل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول **ولهم عذاب اليم** بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شيء في التورية فاخبروا بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة **ولله ملك السموات والارض** فهو يملك امرهم **والله على كل شيء قدير** فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير **ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب** لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او في جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين رضي الله عنه صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه **ويتفكرون في خلق السموات والارض** استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله **ربنا ما خلقت هذا باطلا** على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك **سبحانك** تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض **فقنا عذاب النار** للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع **وما للظالمين من انصار** اراد به المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل القران والندا والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص **ان امنوا بربكم فامنا** اي بان امنوا فامتثلنا **فاغفر لنا ذنوبنا** كبائرنا فانها ذات تبعة **وكفر عنا سيئاتنا** صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر **وتوفنا مع الابرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب **ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك** اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به ساله ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبته وقصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك **ولا تخزنا يوم القيمة** بان تعصمنا عما يقتضيه **انك لا تخلف الميعاد** باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله **فاستجاب لهم ربهم** اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام **اني لا اضيع عمل عامل منكم** اي باني لا اضيع **من ذكر او انثى** بيان عامل **بعضكم من بعض** لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال او للاجتماع او الاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت **فالذين هاجروا** الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين **واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي** بسبب ايمانهم بالله ومن اجله **وقاتلوا** الكفار **وقتلوا** في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن عامر وابن كثير قتلوا للتكثير **لاكفرن عنهم سيئاتهم** لامحونها **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله** اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد **والله عنده حسن الثواب** على الطاعات قادر عليه **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل التغليب تنزيلا للسبب منزلة المسبب والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم

ومتاجرهم

ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت **متاع قليل** خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد** اي ما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله** النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد لان خلودهم فيها انزالهم **وما عند الله** لكثرته ودوامه **خير للابرار** مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله** نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى واسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف **وما انزل اليكم** من القران **وما انزل اليهم** من التورية والانجيل **خاشعين لله** حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى **لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا** كما يفعله المحرفون من احبارهم **اولئك لهم اجرهم عند ربهم** ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين **ان الله سريع الحساب** لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء **يا ايها الذين امنوا اصبروا** على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد **وصابروا** وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته **ورابطوا** ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم للطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة **واتقوا الله لعلكم تفلحون** فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التي تذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته

سورة النساء [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم جميع بني ادم **اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** هي ادم **وخلق منها زوجها** عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة **وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله** بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة الظاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها ولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله او بني جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرئ خالق وبات على حذف مبتدا تقديره هو خالق وبات **واتقوا الله الذي تساءلون به** اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها **والارحام** بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** حافظا مطلعا **واتوا اليتامى** اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الافات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود في الاية اما على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البالغ والحكم مقيد كانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فلياكل بالمعروف **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد لا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء به لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)